Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فسيرة الكاتب إذن ذاتية روائية مؤلّفة من جزأين. وسنتناول هذين الجزأين معاً بوصفهما عملاً فنياً متكاملاً.

ومن أبرز شؤون هذا الأثر الفني أنّ جزأه الأول نُشر في العام ١٩٧٢، أولاً باللغة الانكليزية، ثم بالفرنسية، وقد ترجم إلى اليابانية، ثم نشر بالعربية في العام ١٩٨٣، فهو، من هذه الزاوية، نص يقترب من العالمية.. ويتناول الجزء الأول سيرة الكاتب من ١٩٣٥ إلى ١٩٥٦. أما الجزء الثاني وعنوانه "الشُطار" فقد كتبه (محمد شكري) بعد عشر سنوات من كتابة الجزء الأول، أي في العام ١٩٨٢. وقد وقعت بين يديّ الطبعة الرابعة للخبز الحافي، وتاريخها ١٩٩٦، والطبعة الثانية للشطار، وتاريخها ١٩٩٤. والاثنتان صادرتان عن دار الساقي ببيروت. وقد مُنعت ((الخبز الحافي)) في المغرب، فبيع منها تسعة عشر ألف نسخة في عام ونصف، وهو رقم لافت للانتباه وجدير بالتأمل.

مشكلة تصنيف:

بيد أنّ ذاك المَنْع، وهذا الرواج، ليسا المسألة الكبرى التي تستوقف دارس هاتين الروايتين، بل ثمة مسائل أخرى نراها تستأهل الجهْد النقدي المبذول. وأولى هذه المسائل هو تصنيف هذه الرواية بقسمَيْها، فهي تبدو جنساً "هجيناً" يمثّل ثمرة التزاوج ما بين السيرة الذاتية، والسيرة الروائية. وقد ردّ الكاتب (محمد شكري) على سؤال حول إشكالية التصنيف لروايته، فقال: "أنا لا أقول إنها رواية ولا أقول، في نفس الوقت، إنها سيرة ذاتية مكتوبة بتاريخ مسلسل، فهي سيرة ذاتية مُروّاة، أو سيرة ذاتية بشكل روائي". ويضيف الكاتب حول اتهامه بالصدق والكذب في روايته: "هناك من يقول: هل هذا صادق أم كاذب؟ أنا لا يهمني الصدق والكذب. كل ما أفكرّ فيه، وكل ما أكتبه هو حقيقي حتى ولو لم أعشه" -(أسئلة الرواية، لجهاد فاضل ص٢٠٥).

والحقيقة أن ذات الكاتب في هذه الرواية كانت تتشظّى بين واقع وخيال، أو بين حادث محتمل الحدوث، واحتمال لحدوث الحدث. وفي جميع روايات السيرة الذاتية تنقسم الذات على نفسها، لأنها هي التي تكتب، وهي التي تكون موضوع الكتابة، فالكاتب يجفو ذاته ليعرفها، وينأى عنها ليدنو منها". وقول (محمد شكري) إنه كان يكتب ما هو حقيقي صحيح كل الصحة، لأنّ المتخيّل لا يكذب. وفي الرواية ينشأ دائماً باب سرّي تلج فيه الروح إلى فسحةِ تُخرجها عن كل